العرض حلم مستحيـــــــل

أ.د.عقيل مهدي يوسف

يرد المبدع الحقيقي على خراب الواقع، بصنع نتاجات تلهم الانسان الأمل ليعيش بكرامة في مجتمعه، ويذكر اسم (جاك كوبو) بوصفه مخرجا عاش فترة اضطراب الحربين العالميتين من الاسماء المجددة في خطاب المسرح الفرنسي، أراد ان يوسع من دائرة النص فتلفت الى رواية دستويفسكي (الاخوة كرامازوف) ليقوم باعدادها وسلمها لمخرج اسمه (روشية). كان الذوق السائد حين يمتدح عرضاً مسرحياً، يعني انه يشبه الحياة، ويتطابق معها، فتنقل أجواء البؤس والامراض والقذارة الى المسرح ليتمتع المتفرج بمشاهدة مناظر طبق الأصل! وبلا رتوش، لكن (كوبو) لم يعجبه ذلك، فهذه الطبيعية تطمس (الفن) لانها تدفعنا بعيداً عن مهارة الممثل، وتشغلنا بمفردات الديكور التفصيلية، اراد ان يقرب الممثل الى مشاهده، وان يتمتع بفنونه الأدائية، فاخضعه للتدريب على نصوص ابداعية كبرى لشكسبير وموليير وماريفو، وهؤلاء يهتمون بالنصوص الملهاوية (الكوميدية) وهي قادرة على الكشف عن لعب الممثل فجرد المسرح من تفعيلات المنظر وجعله (عاريا) في فرقته التي اسسها عام (١٩١٣) فشجرة واحدة تنوب عن غابة، وعمود عن معبد، وينجز الممثل بقية الحكاية، فهو مبارز، وراقص، ويجيد الشقلبة مثل ابطال الرياضة، والاضاءة، لاتصدها جدران فتنفذ الى معمارية الخشبة، منسجمة مع شكل ارضية المسرح وخطوطها الهندسية، والتي باتت بلا ستارة او مقدمة أمامية للمنصة، يصعد الممثل الى شرفة في بناء ثابت وفيه فتحات ودرجات تصعد وتنزل عن مستوى الخشبة، اراد المخرج كما يبدو الحفاظ على رؤيته الجديدة المغايرة للبذخ في صنع جو عام يشبه الحياة، واعتمد أدواته باقتصاد، وبذلك جمع تقنيات عدة للممثل ومن مصادر شتى من اليابان الى ايطاليا من صرامة مسرح (النو) القائم على تقاليد شرقية منضبطة الى (الكوميديا دي لارتا) المعروفة بارتجالاتها، وحريتها، ومرونتها. هذا الانتباه قاد مخرجنا لأن يحفر للمسرح العالمي برمته مسارب حديثة، وحتى حين هاجر الى سويسرا كان يدرب الاطفال وغير المحترفين ويزجهم مع المحترفين، وكانت محاضراته في نيويورك تأكيداً على الخطاب الجديد الذي يرى ضرورة ترجمة النص الى لغة فنية مرئية ومسموعة، لا مجرد حوارات واقعية تدور في اجواء طبيعية سقيمة لا تطور من ذائقة المتفرج الذي يبحث عن الفن لا عن نسخ مكرورة من الحياة.

بالطبع، يصطدم الفنان، في سنوات الازمة والاضطراب باختلال المعايير القيمية، ويتوارى احيانا وراء تبريرات تغطي عجزه الحقيقي عن ايجاد حلول لتلك المشكلات المحبطة.

لكن الفنان المجدد، يجد حلولاً ومعالجات متنوعة، ويقترح طرقا، واساليب في منهجية عمله الابداعي.

وما احرانا نحن في ان نجتذب الجمهور، بوسائل فنون المسرح المتطورة، ونقنعه بان المسرح امر جدي، ويضاهي في خطورته جميع وسائل الاعلام، وان المرور بتجربة عرض رصينة، متعة رفيعة المستوى، يحرص عليها المواطن المتحضر، لانها تفتح ممكناته المضمرة، وتغني كينونته الانسانية، وترتقي بآماله وصبواته الى تخوم حلم مستحيل، يقوى على الولوج فيه قصديا، وبمنتهى الوعي.

وتعصمه في الوقت نفسه من هذا النشاز الاجرامي الذي يحاصر قوت الناس، ويدمر مساراتهم الصغيرة ويزعزع قناعاتهم في بناء مستقبل أجمل وأرحب.

عـــن التأويل فـــــي المسرح

د.حسين علي هارف

تحدث نقاد المسرح عن التأويل بوصفه قراءة تركيبية معمقة في النص المسرحي والعرض المتوالد منه، هو حرث متأن ودقيق في باطن النص المسرحي لاستخراج (المعدن) او المعادن الحقيقية المتفاعلة داخل النص والعرض لاسيما غير المرئية منها.

ويشترك في هذا التأويل متلق يقظ وفاعل وواع فضلاً عن ناقد متقدم في وعيه وقراءته ومدرك لقصدية الخطاب المبثوث فضلاً عن عدم قصديته الكامنة فيه والباحثة عن كاشف او خالق لها.

فالتاويل هو قراءة متقدمة للعرض تتجاوز القراءة التقليدية السريعة (الانطباعية) لتقدم قراءة (مقترحة) تكشف من خلالها مستويات متعددة في تفسير الفعل والشخصية والحوار.

ويحمل العرض المسرحي امكانياته (التأويلية) الدفينة والتي تستتر خلف مستويات (واقعية) مكشوفة وجاهزة للمتلقي (العادي).

وهنا يظهر دور المتلقي (الخاص) النخبوي وصاحب الوعي الفكري والثقافي ليستقرئ العرض ويكشف عن مستوياته الداخلية ويفك (شفرات) العرض التاويلية ويربط بينها للوصول الى قراءة تفسيرية مضمرة.

وهنا يحقق هذا المتلقي متعته الحقيقية في استكشاف المضمر والمجهول وتجاوز (الظاهر) و (المعلن) و (المكشوف).

وبذلك تقترب قراءة هذا المتلقي من قراءة (الناقد) الذي يمتهن ايجاد قراءة تاويلية مقترحة يستخرجها من طبقات العرض الداخلية او ربما يفرضها بدرجة من (القسرية) الموضوعية ليقترح قراءة جديدة قد لاتكون مبثوثة او مزروعة في خطاب العرض سواء السري او المعلن فيه.

وهنا تبرز الخطورة في بروز تأويلات (مقحمة) قد لايحتملها العرض المسرحي وربما قد تكون متقاطعة معه في جوهر الخطاب.

وتحمل بعض العروض المسرحية نوافذ تأويلية مفتوحة، ومثل تلك العروض تكون اكثر مثاراً للجدل والتفاعل مع المتلقي حين تناى بنفسها عن الانغلاق والطروحات (المقولبة) والحاسمة المقيدة لعملية التلقي المفتوح التي تمنح العرض فاعليته المطلوبة وقدرته على الاقناع والتاثير.

وتبقى العروض (المسطحة) وحدها فاقدة أمكانية تاويلها مكتفية بقراءة التلقي العابر المسطح التي لا تخرجه عن حدود التسلية العابرة-ومثل تلك العروض تموت حال تقديمها وتحقيقها وظيفتها الانية، فهي عروض استهلاكية ذات استعمال (لمرة واحدة) فاقدة مقومات بقائها وخلودها الفني والتاويلي.

ولان هذه العروض مباشرة ومكشوفة وتفتقر الى درجة من الغموض الفني المطلوب فهي تخفق في اثارة انتباه (المتلقي) واستثارة (متعته) وفكره (ذهنه) وتجعل من عمر العلاقة بينها وبين المتلقي قصيراً وينتهي بانتهاء زمن العرض مباشرة.

ويسألونك عن التأويل، قل التأويل اجتهاد ومغامرة محسوبة وواعية من لدن من يمتلك البصيرة التاويلية النافذة

إعـــــادة التفكير بكـــل شيء

أطروحة (وقت إعادة التفكير بكل شيء) اخترقت فن المسرح، فيما يبدو وكأنه اتجاه معاكس لما درج عليه المسرح من تمسك بالجماليات الخالصة، والفضاء النصي الجيد الصنع والمشروط، بدأ المشهد المسرحي بعرض مالم يخطر على بال منظريه على مر العصور، وحسب كليراينزورث (حتى مرض الايدز والموت لايعتبران خروجاً عن النص) وذلك بادراج ثيمات (البيئة) و (التنمية) و (الصحة) و (الحقوق) وسواها من اهداف منظمات المجتمع المدني ومنظمات الامم المتحدة بموازاة العروض الحداثية ومستجداتها اليومية.

حميد عبد المجيد هادي الله

من الالوان الاخيرة (الشعر المسرح) الذي يعرض باسلوب لا صلة له (بالاعداد) التحويلي التقليدي للنصوص الشعرية، وانما بقنوات التوصيل، حيث يتحول (الشاعر) الى مؤد، نسق رمزي باث للرساله: القصيدة عبر القنوات الصوتية والبدنية أيضا بالحركة والايماءة والرقص! تصحبها الموسيقى الحية مع انارة وتأثيث وتلق لا مألوف.

واشتركت-وهذا مثال آخر- الفنانتان الهنغارية كرستينه شاتيل، واليوغسلافية مارينا ابراموفيتش بتقديم عرض مسرحي راقص بعنوان (تدرج وتواصل خارج السيطرة) يعتمد على الحركة والجسد ضمن معرض تشكيلي للفنان النمساوي ايفون شيليه، في متحف (فان كوخ) في امستردام على مدى ثلاثة اشهر من ٣/٢٥/ ٢٠٠٥ الى ٢٠٠٥/٦/١٩ مع عروض إيمائية، الجديد ان العرض مستوحى من فكرة المعرض-لوحات الفنان، المجسدة لأفكاره، بدخول مباغت لخمسة ممثلين شبه عراة، بملابس شفافة ملتصقة بأجسادهم، تقودهم عازفة بيانو عارية، كأنهم عصافير اطلقت من أسرها، الاجساد ملتصقة ببعضها وهي تتحول الى امواج داخل الاحواض الزجاجية التي تحتل حيزاً كبيراً وجميلاً من السينوغرافيا، لم يقتصر العرض الراقص على اطراف الجسد، بل كان الاخير يشكل كياناً مع الروح الحاضرة في حضور لا ينفصل عن الفكرة الرئيسية للمعرض المعنون بـ(الحب والموت) جسدت عملاً درامياً راقصاً (كيروغراف) غزير الرموز.

عرض مسرحي نفعي! قدمته مصممة الازياء (كيارابوني) في آخر عرض للازياء في الموسم الحالي، عرض راقص ايمائي استعراضي للأزياء التي صممتها في مشاهد مسرحية بفضاء سينوغرافي جذاب مدهش، تجوب أجواءه الازياء الحداثية وقصات الشعر وتسريحته والماكياج والحلي والحركات والوقفات، والتحكم في العيون والفم واللفتات في فضاء مثالي للتلقي.

عود الى النوع الاول من عروض مسرح الان، في قرية كينية نائية صرخ فتى صغير من تلاميذ مدارس الأحد، يرتدي ملابس تشبه ملابس حفاري القبور! قائلاً (انظروا الي!.. ايها الناس الا تعرفون ان الايدز قاتل؟).

خلف صرخة الفتى يقف (جورج أوديراأوتا) استاذ الادب والفنون الدرامية بجامعة نيروبي الذي ينتهج (المسرح التقليدي الافريقي) ويقترح مسرحاً للتوعية الصحية والبيئية والتنمية والقروض غير الرسمية، والتصحاح- Sanitationجعل الشيء صحياً بتعزيز الصحة العامة ومنع تفشي الامراض-لأن (المسرح وسيلة مثالية) ولأنه (يستطيع الوصول الى الجميع).. وأسلوبه (الكوميديا السوداء) و (الكوميديا الكاريكاتيرية الجريئة):

حفار القبور/ يفتك بهم الايدز بسرعة.. وانا أحتاج الى وظيفة... وفي حواره مع (دليلة) تصعيد لمسار التراجيكومك:

الحفار/ دليلة..مابك؟

دليلة/ أنا مصابة بالايدز..

الحفار/ وأنا... لدي المجرفة!

يعتبر (حفار القبور المرح) الذي يلوح بمعوله ومجرفته، أحد ابداعات (أوديرا) الذي توصف أعماله بالاستاذية Masterstro تتمثل في نسج (الرسائل) التي يود توصيلها في صور أغان وأحاديث وقصص خيالية محلية.

في عرض هدفه الحفاظ على بحيرة (فكتوريا) من التلوث لانها تحتل موقعاً رئيسياً في عالم (شعب اللو) يستخدم احدى صور السرد القصصي تسمى (سيجانا) وهي مزيج من الوزن الشعري والمجاز والاغاني والقص والمحاكاة والاناشيد، كما يستخدم اسلوب (صناعة الاساطير) عن الطبيعة، و (اوديرا) واقعي في توقعاته بالنسبة لأقصى مايستطيع المسرح تقديمه فهو (لا يقوم لوحده بالعلاج، ولا يقضي على الفساد) ولكن مهمته نشر الوعي (.. مالم يعرف الناس مايدور حولهم فلن يتغير شيء) ويؤكد ان (تدويل هكذا أفكار من الامور العسيرة) لأن (تعدي الرأسمالية، خاصة الاستعمار، جعل الناس يفقدون الثقة فيما كانوا يفعلونه على مر العصور..).

وقوف منظمات (المجتمع المدني) و (الامم المتحدة) الترويجي لمسرح طروحاته مشكلات دنيوية مشتركة، غايته التوعية اقترح تسميته (بالمسرح التوعوي!) رغم اضطراب اللفظ ونشازه صوتياً!! احتل مكانة مقاربة (للاسبرانتو) كوسيط عالمي للتوصيل-الاسبرانتولغة دولية مبتكرة على اساس من كلمات مشتركه في اللغات الاوروبية الرئيسية، وضعها طبيب العيون البولندي زامنهوف، كلغة ثانية للشعوب تمكنهم من التواصل دون نسيان لغتهم، ووضع قواعد مبسطة لها، فلا استثناءات للقواعد، الحرف ينطق بشكل واحد مهما كان موقعه في الجملة، ولا وجود لافعال شاذة، وهكذا:-

في تسعينيات القرن الماضي أنتجت عروض مماثلة مادتها النصية (خطر الالغام) و (المواد المشعة) وعرضت في تجمعات البدو الحدودية والقرى والمزارع التي شهدت ودارت فيها الحروب العبثية في عراقنا.

قبل اسابيع قدمت (جمعية السياب) مسرحية (الدستور والناس) مسبوقه بعروض مماثلة قبل أشهر... هذا يعني ان اشكالية هذا اللون المسرحي سارية الان ووصلت الى المتلقي، فلا مجال للتماهي باسطورة (تنتالوس) Tantalusملك تزعم الاسطورة الاغريقية انه عوقب بان غمر الى ذقنه في الماء، وقد تدلت الاغصان المثقلة بالفاكهة قرب شفتيه ولكن كلاً من الماء والفاكهة كان يرتد بعيداً عنه كلما حاول بلوغه.

تأسيس العرض مقارب (للكوميديا المرتجلة) بابسط صورها، بوجود نص اولي كتبه المخرج محمد قاسم (١٥ صفحة فولسكاب) في فصلين قصيرين ترسم الاول هيكلة مقابلة فضائية بشخصيات المذيع والمخرج والمحللين السياسيين، والاخر تجري احداثه في وكر للارهابيين.

شغلت العرض العدد الكوميدية التقليدية المتداولة (التهويل والمبالغة) في الهيئة المظهرية للمؤدين (الازياء المتناشزه والممزقة، ماكياج الوجه، الشوارب الضخمة، تسريحة الشعر طراز قديم) وتهويل الحركة وتكرارها (الاغماء) التناقض بين المظهر الرزين والتصرفات الفجة حدة الاصوات والحماس المفتعل.

ممارسة (الهوسة) وترديد عبارات (التحشيم) والخروج عن الطور امام كاميرات تلفازيه للنقل المباشر.. والسخرية من شخصيات نمطية (الارهابي المخنث!) والمدمن المسير... والمحلل السياسي الامعة.

تقديم هكذا عرض جال في اقضية المدينة ومركزها بحاجة الى اعادة تفكير من قبل شبابنا الاكاديمي، ومعالجة اشكالية الممول عايز كده، اعادة التفكير تتطلب وعيا جماليا وفكرياً وتقنياً متقدماً.

الساحر العجوز وخاتمه العجيب

قـــــراءة في مسرحية محيي الدين زنكنـــــه

د. ماجد الحيدر

المكان:

عبر أرض تنبت فيها الحراب والخيل والأفاعي والنخيل والدوالي والمقابر والقصور والأبطال والمجانين والمهرجين والطغاة الذين يذهبون ويجيئون..

الزمان:

في طيات تاريخ يعج بالأوهام والخوف والأكاذيب والحكايات والأشعار والضياع والبطولات ..

الحدث:

ساحر ساخر حكيم ... يقودنا في دروب خبرها طويلاً وعرف فيها السراب من اليقين...

إنه يمسك يديك ويدلك على كومة من الأحجار ويقول لك :تلمس .. هذا شاهد على دم قديم سال من ألف وألف وألف ولم يجف للساعة..

سيشير إلى جبل غارق في الضباب . وسيخبرك أن وراء هذا الجبل أرضا تفيض لبناً وعسلاً .. ما بلغها أحد قط وما كف الناس يوماً عن الموت في شعابها الوعرة الجرداء..

وحين تعشي ناظريك أضواء قصر هائل من ذهب وفضة وياقوت سيقول لك : لا تأبه للضوء الساطع .. إن تحت القصر لينبوعا من ماء آسن ..

في مكان ما في أول الرحلة ستبصر رجلاً في منتصف العمر عليه لباس الملوك. وستسأل الساحر:

-أليس هذا هارون الرشيد؟ وسيومئ الساحر برأسه أن بلى.. إنه هو!

-ولكن من ذلك الصعلوك المتشح بالأسمال الواقف عند دجلة؟

-إنه هارون الرشيد!

-هارون الرشيد نفسه؟!

-نعم!

-وكيف ذلك؟ أيكون كلاهما هارونا؟

-نعم. وأزيدك: ذلك الأشعث اللاهث في جلد قرد راقص هو هارون أيضاً. وذاك العاشق الباكي هو هارون. وذلك المتبتل الرافع يده للسماء .. وذاك وذاك وذاك..

-وكيف يجوز هذا يا سيدي؟

تسأله بين الدهشة والإنكار، فيضحك ضحكته الساخرة نصف المكتومة ويجيبك:

-هكذا هو الأمر دائماً يا ولدي..للحقيقة هارونها، وللتاريخ هارونه، وللأسطورة هارونها، وللخاتم هارونه. بل أزيدك أن لكل زمان ومكان هارونه، كما إن لكل زمان ومكان هاملته وماكبثة وحلاجه ونيرونه ...

-أظنني بدأت أفهم. وهذا ما يجعلني أذهب إلى أن ذلك الغرنوق المتأنق المثقل بالديباج والجواهر والعطر هو جعفر البرمكي لا غيره، وأن ذلك العملاق الأسود العاري الجذع، المتمنطق بالسيف القاطر دماً ما هو إلا مسرور السياف..

-ها قد بدأت تفهم !

-كل هذا حسن يا سيدي. ولكن من ذلك البلاّم ذو الأسمال، الذي يفترش شاطئ دجله قدام الكوخ المتداعي؛ يبكي ويغني؟ شرابه خمر رخيصة وطعامه خبز يابس. من يكون يا ترى؟

-لقد خيبت ظني. أحقاً أنك لم تتعرفه؟ حسناً .. إنه .. إنه أنت!

-أنا؟! ومن أنا حتى تحشرني في مسرحية واحدة وكل أولئك السادة والأمراء والتجار والقضاة؟ أنا الذي لا يحسبون لي حساباً، أنا الذي لا أجرؤ على أن أحلم، أنا..

-يا الله! لقد سمعتك تقول كلامك هذا في المشهد الأول!

-أنا أقول هذا؟

-نعم. لكنك ستقول أشياء أخرى في كل مشهد يتلوه حتى ابلغك أخيراً إلى ما أريد منك ولك.

الحكاية:

ستأخذ الحيرة منك كل مأخذ وستصمت طويلاً، غير أنك ستصيح كمن صحا من حلم عجيب:

-ولكن الحكاية يا سيدي. ما الحكاية؟ أهي قصة أخرى من قصص الليالي الألف أم رواية انتزعتها من كتب التاريخ التي أكلتها الرطوبة والعث؟

-لا هذا ولا ذاك. إنها روايتي أنا. وبالأحرى مسرحيتي أنا. فأنا هنا السيد. والخاتم المسحور طوع بناني، أحرك الشخوص متى أشاء وكيفما أشاء. أمسخهم وأعيد تكوينهم، أعريهم وألبسهم، أدفعهم للضحك أو البكاء أو التقافز في جلود القرود. كل هذا لغاية في نفسي.. لأنني أريد أن أقول شيئاً .. شيئاً أظنه الحقيقة التي ضاعت تحت ركام الأكاذيب. فافتح عينيك واحبس أنفاسك وأصغ.. ها قد بدأت الستارة تعلو..

هكذا كانت البداية :

خليفة يتحرق شوقاً لينال خاتماً أسمه الخاتم السفياني.. إنه خاتم ولا كل الخواتم "إنه مارج من نار.. يسلب العقل ويخطف القلب" خاتم من أجله يفرغ خليفة الله بيت مال المسلمين حول التاجر الأموي حتى يكاد يدفن تحت جبل الذهب.

أما بيت مال المسلمين فليذهب إلى الجحيم! فلن يُعدم الوزير جعفر بما وهبه الله من مكر وخداع أن يملأه من جديد خلال الأشهر الستة التي يغيبها الخليفة في الحج! المهم هو أن يحصل هارون على الخاتم ليحاول عن طريقه استمالة قلب "نُعم" الحزينة التي غدر بزوجها ذات يوم.

في الجانب الآخر سنرى "سلمان البلاّم" يحط بزورقه المتداعي عند المغيب ويعد محصوله اليومي "خمسون درهماً .. الحمد لله، مكسبنا اليوم وفير" يتقاسمها وصبيه "فرات" بعد أن يستقطع خمسة دراهم حصةً لبيت المال. سلمان هنا ما زال ذلك المواطن البسيط المخدوع "بيت المال هو بيت مال المسلمين، يظهر أن الخليفة روحي فداه، قد أرهقه بعض الشيء إذ صرف أمواله في مصالح الإسلام ونصرة الحق.."

تساؤلات الصبي "فرات" ابن حبيبته "زينب" الأرملة التي اغتالوا زوجها هي الأخرى تشعل أولى جمرات التفكير والتساؤل في رأسه:

خليلي ما بال الدجى ليس يبرح
وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الصباح المستنير طريقه أم
الدهر ليل كله ليس يبرح

في هذه اللحظة بالذات تتفتق مخيلة الساحر عن رجال ثلاثة يقفون على رأس سلمان: إنهم "مسرور" سياف الخليفة ومساعداه. ولكن مهلاً! هذا ليس مسرور "الحقيقي" (إن كان ثمة شخص حقيقي في هذه الحكاية). إنه مسرور "الموازي". رجل يخرجه الساحر من بين الجياع الثائرين ليلبس قناع مسرور السياف ويمثل دوره أمام الناس: شرساً، ظالماً، قبيحاً، ليثير غضب الجماهير -ومن بينهم سلمان- ويصل بها إلى الغليان ومن ثم الثورة. وشيئاً فشيئاً سنكتشف أن شبكة كاملة من الثائرين يقودهم أبو الحزم "الوافد من أعماق الأهوار.." قد استغلت غياب الخليفة في الحج وانهماك وزيره في جمع المال لتستولي على قصر التاجر المرواني وتلبس أقنعة هارون وجعفر وزبيدة ومسرور وتمثل أدوارهم بأبشع ما يكون، لكي تكشف للناس زيفهم وخداعهم وبطلان سلطتهم الغاشمة وتدفعهم إلى الثورة.

حين تصل إلى هذا المشهد سوف ترفع صوتك لتحتج على الساحر وتسأله:

-إن كان بمقدور هؤلاء أن يفعلوا كل هذا فلماذا لا يستولون على السلطة جهاراً ويتخلصون من هارون وأعوانه إلى الأبد.

الساحر العجوز سيجيبك في هدوء:

-ربما كانوا سيفعلون هذا لولا أننا في حكاية، ولولا أن للحكاية قصداً ومغزى. ما جدوى حكايتي إذا جعلتها تدور حول انقلاب في البلاط تقوده حفنة من مغامرين يولّي فيه خليفة ويأتي آخر بسيافيه ووزرائه وتجاره. أنا ألعب هذه اللعبة لأري الناس الوجه الآخر من الستارة. ولأني أعرف أن ألف هارون وهارون يفرخون ويعششون أمس واليوم وغداً.

-لكن المنطق يقول..

-تباً للمنطق! وما شأن المنطق بحكاية أصنعها أنا .. الساحر الساخر الحاذق!

مسوخ .. مسوخ ... مسوخ:

ولأن الساحر مولع بالمسخ سيدفع هارون وجعفر ومسرور إلى العبور نحو الجانب الآخر من دجلة حيث يتسابقون على شرف المسخ!

فهناك في الضفة الأخرى، حيث أضواء قصر التاجر الأموي، يقعون في قبضة دورية من الثوار. ويتواجه الطرفان: الثلاثة في أسمال الشحاذين، والثوار في لباس الوزراء والحاكمين وفيهم "زبيدة" زوجة الطاغية، وبين يديهم قردٌ ضخم مشدود إلى حبل قرادٍ ساخرٍ فظ. وتنزل المفاجأة كالصاعقة على رأس هارون: فالثائرة التي تقمصت دور "زبيدة" ليست إلا "نُعم" معبودة فؤاده المتمنعة عليه، والقرد الضخم العجيب ليس إلا كبير التجار: التاجر السفياني ممسوخاً!

وعلى شاطئ النهر الخالد تنعقد محاكمة سريعة ترأسها نُعم/زبيدة وتحكم على الثلاثي (المتهم بقتل سلمان وسرقة زورقه) بأن واحداً منهم فقط سيبقى على قيد الحياة، وذلك هو من يجيد التحول إلى قرد ممسوخ: وتبدأ المؤامرات والمساومات والمشاتمات والتصاغر من أجل الحصول على هذا الشرف! ويكتشف مسرور الطبيعة الحقيقية لسيديه فيرفض المسخ ويتحول إلى صف الثائرين:

"..لا..لن يعود اليّ العقل الذي ركبتموه لي. لن أعود مطيتكم الذلول، وذئبكم المفترس، لرغباتكم الشريرة.." ، "وجدت من يسمون أنفسهم أسيادي ليسوا أعلى مني. فلماذا أكون أدنى منهم"؟!

لكن وراء هارون وجعفر تاريخاً طويلاً من الغدر والمكر والقدرة على البقاء. وسرعان ما تتحطم الثورة.

هل هي النهاية:

في المشهد الأخير سترى أجساد الثوار مصلوبة معلقة أمام جامع المدينة، وستسمع منادي الخليفة يدور في الأسواق:

"يا عباد الله، يا عباد الله هلموا..هلموا.. ارجموا شياطين الكفر والإلحاد. ارجموا أبالسة الفسق والفساد. ارجموهم تناولوا ثوابهم.. العنوهم تقبل صلواتكم.."

وسيدخل الخليفة والوزير والفضل في كامل أبهتهم.. والتاجر في جبة قاضي القضاة يحيط بهم الحرس.

عندها ستشتعل بالغضب وتحس بالخيبة في أعماقك وستند عنك صرخة بين اليأس والاحتجاج:

-لماذا ؟!

وسيبتسم الساحر في وقار:

- لا تبتئس يا ولدي. هكذا تجري الرياح! لم تكن هذه أول ثورة فاشلة، ولن تكون الأخيرة. وقديماً صلبوا سبارتاكوس ورجمه سادات روما.

-لكنني لم أكن أتوقع هذه الخاتمة لرحلتي معك. لم أكن أتوقع هذه النهاية.

-ومن قال لك إن لحكايتي نهاية؟ ألم تر أنهم لم يستطيعوا الإمساك بأبي الحزم، وأن الشاهد الوحيد على هارون وجعفر وهما في إهاب القرود، أعني مسروراً قد أفلت منهم حتى صاروا يطلبون رأسه بمائة ألف دينار؟ أما إذا لم يقر هذا عينك فهاك انظر إلى الصبي فرات وستراه "يرمق مجلس الخليفة ورهطه بغضب، يقذفه بحفنة حصى.. و .. بصقة.. ثم يسرع خارجاً.. يلتحق.. بالركب.."

ورويداً رويداً سيختفي الساحر .. يذوب في الهواء.. لكنك ستسمع كلماته الأخيرة ممزوجة بضحكته الرائعة :

-ثم إن الخاتم ما زال في يدي.. الخاتم ما زال في يدي.. الخاتم ما زال في يدي.. الخاتم ما .... وقبل أن يسدل الستار ستشعر بقوة عجيبة تدفعك كي تنحني أرضاً .. وتخطف حفنة من الأحجار .. وترميها على موكب الخليفة .. على موكب هارون .. هارون زمانك.. ووزيره.. وقاضي قضاته .. وكل هارون مضى أو سيأتي ...